

المحور التاسع

شهادات

زكى نجيب محمود وبلوغ الثمانين (*)

توفيق الحكيم

أردت أن أهنئ الدكتور زكى نجيب محمود ببلوغه الثمانين . . وكنت بالمستشفى ورقم تليفونه ليس معى . وفطنت إلى أن التهئة بالكلمة ليست كافية ؛ فمجرد مرور سنة من العمر لا يعنى فى نظرى شيئاً مهماً . . إنما المهم هو ما صنع الإنسان بهذا العمر . .

وما صنعه زكى نجيب محمود فى عمره ليس بالقليل . . لقد قرأ حتى ضعف بصره ، وحل على كتفيه قضية هى أجل وأخطر قضية فى حياتنا الفكرية : قضية تجديد الفكر العربى . . وهو يواصل فى كل كتاباته السير فى هذا الطريق مسلطاً أشعة مصباحه الفكرى على كل المراحل التى فطنت إلى هذا الطريق وحاولت أن تضيف حجراً فى بناء هذا التجديد . . باحثاً منقباً عن صفة هذا التجديد وعناصره وملاحة كما يراه ويتمناه . . وهو عمل شاق تحمله بصبر وإصرار ، دون انتظار لشكر أو رغبة فى تكريم . .

لأن زكى نجيب محمود يعلم أن دولة الفكر وخاصة فى بلادنا بعيدة عن هذه العملة الذهبية التى يجرى تداولها فى ملاعب الأقدام وانتصاراتها ومغانى الأصوات وألحانها . . فالفكر مثل المحرك الخفى فى جوف السيارة . . لا تراه الأعين ، التى لا ترى غير العجلات التى تسرع بالسيارة والفير الذى يدوى بالتنبيه . . أما المحرك الصامت المسكين فلا يدرى كيف ينبه الناس إلى وجوده القابع فى الداخل . . وماذا يهمه من ذلك ما دام يقوم بواجبه وعمله الذى خلُق له ورسالته التى كُلف بها - وهى دفع السيارة إلى السير - ؟

ولكن الذى سرنى هو أن أجد من بين المثقفين من يذكر زكى نجيب محمود ويعرف فضله . ومنهم هذا الذى أرسل إلى ما ألقاه تنوياً بعمله فى هذه المحاضرة الطويلة التى أرجو أن تجد طريقها إلى النشر فى الأهرام دون أن يحول دون ذلك طولها وعدد صفحاتها . . ولا يوجد عندنا الآن مع الأسف مجلة متخصصة فى الفكر تتيح النشر لمثل هذه الموضوعات العميقة . .

(*) يمكن الرجوع إلى شهادات أخرى بين ثنايا المحاور السابقة .

إضافة إلى أن رجال الفكر عندنا لم يعتادوا -بعد- التعاون على حمل الفكرة الكبيرة . . بل سلكوا مسلك المجتمع كله الآن . . «مجتمع الصراصير» كما أُسمِّيهِ ، دون قصد الإهانة أو السخرية . . فهو مجتمع مختلف عن «مجتمع النمل» . . فالنملة عندما تعثر على قطعة سكر تجدها وقد اجتمعت حولها جماعة من النمل تتعاون على حملها . . أما «مجتمع الصراصير» فهو مثل مجتمعنا اليوم .. قلِّمًا نجد مجموعة من الصراصير تحمل فكرة وتعمِّقها وتفيد بها . . لأن كل صرصار مشغول بنفسه فقط . . ولهذا لا يوجد بناء فكري أو فلسفي أو أدبي يقوم شائخاً متكاملأً . . إنما الموجود أفراد ، كل فرد مشغول بفكرته يحملها وحده ، ولا يلتفت أو يهتم إلا بها يحمله هو .. وهذا سر من أسرار تخلف مجتمع «الصراصير» ..

فمعدرة أيها العزيز زكي نجيب محمود . . وربما يتغير الحال ويلتقى الجميع على فكرتك العظيمة في «تجديد الفكر العربي» . . وأرجو أن أحقق رجاء الدكتور عاطف العراقي في نشر كل أو ما يتيسر من محاضراته عنك . . وهو أقل القليل ؛ تنوياً بأعمالك التي ستبقى ما بقي الفكر العربي.

توفيق الحكيم

